

**تثقيف الطفل العربي جمالياً  
لمواجهة التحديات العالمية المعاصرة  
( العولمة الثقافية. الحداثة. ما بعد الحداثة )**

**إعداد:**

**أنصار محمد عوض الله رفاعي  
مدرس بكلية التربية الفنية، جامعة حلوان -  
تخصص أصول تربية فنية**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تحية إلى الأطفال في جميع أنحاء العالم.

تحية إلى الأطفال الذين يرزحون تحت نيران الحقد الأعمى والإرهاب الدولي.

تحية إلى الأطفال في فلسطين والعراق والسودان وجنوب إفريقيا وأفغانستان  
والشيشان والبوسنة وكابول والفلبين والهند.

وتحية خاصة إلى أطفال الانتفاضة في فلسطين المحتلة أجيال وراء أجيال منذ

١٩٤٨ وحتى ٢٠٠٤ .

﴿ألا إن نصر الله قريب﴾

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

---

## تثقيف الطفل العربي جماليا لمواجهة التحديات العالمية المعاصرة (العولمة الثقافية. الحداثة. ما بعد الحداثة)

### مقدمة:

تعانى الثقافة العربية بشكل عام أزمات عديدة ومتشعبة في عصر الهيمنة والهزائم السياسية والضعف العربي العام والأحداث الحزينة المؤسفة في بعض الأقطار العربية في ظل كل هذا تتآكل الثقافة العربية، بعد أن ظلت لفترة طويلة ثابتة راكدة غير متطورة وغير متنوعة.

وقضية تآكل الثقافة العربية وانزوائها قضية ذات بعد حضارى يجب الاهتمام به والتنبه إلى خطورة إهماله، فهي قضية من أهم القضايا التى يجب التصدى لها والوعى بأسبابها والوقوف على الآثار الناتجة عنها.

والوقوف عند حدود الوعى بالمشكلة لا يمثل حلاً جذرياً ولكنه يمثل خطوة على طريق وضع الحلول خاصة فى ظل مرورنا بمرحلة انتقالية جديدة من التحديات العالمية المعاصرة التى يسبق فيها العلم والتكنولوجيا الثقافة والفكر بقفزات شديدة الاتساع تسهم فيها استعارة الأنماط الثقافية الغربية الوافدة أو فرضها من خلال المد الثقافى الغربى الطاغى والمهيمن والذى أوجد مناخاً ثقافياً تفریبياً لا يسمح ولا يعطى الفرصة حتى للنظر فى الثقافة الخاصة، وفرض ذلك التحول الهائل لقيم العولمة الثقافية من خلال وسائل الهيمنة الثقافية الإعلامية الشرسة والحادة المصدرة إلينا وإلى جميع أنحاء العالم من خلال الثورة المعلوماتية والتقنية والاتصالية العارمة المتمثلة فى القنوات الفضائية وقاعات الانترنت التى تبث الرذائل وتنفض سمومها فى وجدان براعم الأمة وعقولها.

فى ظل هذه الظروف الحرجة العصبية التى نمجتاح الأمة العربية والإسلامية والتى يتزامن معها الحرب على الإسلام كأهم وأول مكون من مكونات الذاتية الثقافية للأمة وأهم عامل من عوامل العزة والكرامة التى نحن فى أمس الحاجة إليها، فالإسلام حضارة وعطاء ازدهر فى القرون الوسطى المظلمة فى أوروبا حينذاك واستفادت الحضارة الغربية من منجزات الإسلام الحضارية والعلمية ما بنت عليه نهضتها المعاصرة، والآن تلتصق تهم الإرهاب بالإسلام، كأهم محاولة من محاولات التغريب والانسلاخ عن الهوية الذاتية، مما يؤثر على المجتمع العربى عامة والطفل العربى خاصة الذى ينشأ منبهراً بالآخر على اعتبار أنه نموذج التقدم الوحيد فى العالم فهو لم يتكون لديه وعى بثقافته التى لم تقدم إليه التقديم اللائق الذى يجعله معترفاً بها فخوراً بمنجزاتها الحضارية يعمل على تفعيلها المعاصر، إن جيل الأطفال الذى يحيا فى ظل العولمة الثقافية ينشأ جيلاً متصلاً من جذوره وأصوله الثقافية التى لم يتعلم الوعى بها ويتدرب على رؤيتها بصرياً والتعبير عنها جمالياً.

لقد فقد الطفل العربى المعاصر براءته وطفولته والتوازن الروحى والوجدانى الذى يقبه من العواصف، وفقد الفكر الذى يدعم ثقافته الإسلامية ويقويها ويجعله يدرك صدق غاياتها ونبل أهدافها ورفعة معانيها ويعصمه من تداعيات التغريب وما ينتج عنها من نشر العنف والرذيلة والمخدرات كما افتقد الثقة والإيمان والاعتزاز بثقافته الذاتية وتميزها الحضارى مما يمثل مناعة ثقافية تنأى بفكره وثقافته عن الانغماس والذوبان أمام تيارات الحداثة وما بعد الحداثة المدمرة للإبداع الأصيل والحاجة لأصالة الفكر معاً والمدمرة أيضاً لجوانب شخصية الطفل العربى الروحية والأخلاقية والتربوية وهذا هو جوهر الخلل فى المنهج المادى الغربى الذى يعتمد على التجربة المحسوسة ولا يؤمن بالروحانيات حيث الاهتمام بكل ما هو محسوس وملمس فقط كمعيار معرفى أحادى الجانب.

### خلفية البحث:

إن أزمة ثقافة الطفل النائمة عن الانفتاح غير المقنن وغير المنضبط على الغرب تظهر فى حالة الاضطراب الفكرى لدى الطفل وعدم الوعى لديه بالنموذج الثقافى

المعرفى النابع من ثقافته والذي يؤهله للاستخلاف فى الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِیْفَةً﴾ (١). والوسطية ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلٰى النَّاسِ وَيَكُوْنُ الرَّسُوْلُ عَلَیْكُمْ شَهِیْدًا﴾ (٢). بهدف الشهادة على الامم السابقة واللاحقة مما يجعل من الواجب علينا تكريس الوعى الثقافى لدى الطفل لتنمية اعترازه بدينه وتراثه وتاريخه ومسئوليته تجاه ثقافته والحفاظ عليها باعتبارها نموذجاً معرفياً متكاملأً يمثل الاساس الذى يبنى عليه نموذج الحضارى المعاصر، خاصة فى ظل الظروف العالمية السائدة التى يعلن من خلالها افتراء أن الإسلام كدين وفكر هو مرادف للإرهاب مما يزعزع ثقة الأطفال بدينهم وثقافتهم الإسلامية خاصة فى ظل غياب الوعى الحضارى اللائق بها وتفعيلها فى الواقع المعاصر وبيان أن الإسلام هو دين التسامح ودين الله الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى هو دين التفاعل الإيجابى بين البشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح».

فلم يتم التمييز العنصرى بين البشر فى الإسلام كما هو حادث فى الحضارة المعاصرة بل حث الإسلام على التعارف والتوافق والانسجام بين الشعوب والقبايل رغم اختلافها وتنوعها ومعيار التفضيل هو التقوى والعمل الصالح، وليس امتلاك القوة النووية أو الأسلحة البيولوجية فالبقاء للأبقى وليس البقاء للأقوى بمنطق الفكر العالمى المعاصر.

وعند الحديث عن الثقافة الجمالية والإنسانية فى الإسلام التى أنتجت الفنون الإسلامية الأصيلة والعالمية التى تمثل أحد الروافد الجمالية الهامة التى تسهم فى تثقيف الطفل العربى جمالياً وتعريفه بتراثه الجمالى والبحث فيه عن مقومات النهضة المعاصرة وتأكيد الهوية كأول محور من محاور الانتماء لديه، والتى يتم تغذيتها من

(١) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٣) سورة الحجرات: الآية (١٣).

خلال اتخاذ التراث الفنى الإسلامى كمدخل للرؤية البصرية والتثقيف الجمالى لدى الطفل، حيث تتعمق رؤيته البصرية وتعبيره الفنى من خلال إدراكه لجماليات الفنون الإسلامية، وممارساته الفنية للتعبير عنها، مما يرسخ بداخله القدرة على الرؤية الجمالية وتثقيف العين، مما يؤصل لديه الرقى المعرفى والثقافى والتذوقى الجمالى، كما يؤسس تصورات للنهضة الإبداعية للأمة العربية فى المستقبل، وأهمية تكوين الوعى لدى الطفل بذلك منذ الطفولة.

### مشكلة البحث:

تضاعل ثقافة الطفل العربى فى العصر الحالى وتقلص أمام الثقافات الوافدة، مما يؤثر سلبياً على بناء وتكوين شخصية الطفل وأخلاقياته خاصة فى ظل غياب الوعى الثقافى والوعى الجمالى بالتراث والثقافة المحلية الأصيلة، وفى ظل طغيان الثقافة الفنية الغربية وتداعياتها الغربية المفرطة فى الخيال والعبث والعنف اللاأخلاقى والخرافة البعيدة كل البعد عن تنمية الإبداع الخلاق، والتى تستبطن بداخلها أصول وخلفيات فكرية بعيدة كل البعد عن أخلاقياتنا وقيمنا وأصولنا الثقافية، كما تهدف إلى الهيمنة العالمية، وتكرس لمحو الهوية الوطنية والثقافة الدينية لدى الطفل، كما تسهم بكل مكوناتها فى تشويه الجانب السلوكى والتربوى لدى الطفل من خلال العنف المصدر ومن خلال نشر ثقافة فاسدة موهلة فى الإثارة والميوعة والاستهتار بالقيم الأخلاقية والقيم الجمالية الأصيلة مما يؤدى إلى ذوبان شخصية الطفل، وعدم ثقته بنفسه والانبهار بالآخر، وشعوره بالدونية، كما تنمى لديه عدم الثقة فى قدراته وشعوره بالعجز والإحباط والتوتر بالإضافة إلى العنف الذى أصبح الآن من أهم الظواهر السائدة بين أطفالنا فى المدارس وفى مجتمعاتنا وفى ظل هذا الطوفان الجارف يصبح من الواجب الحضارى والأمانة الحفاظ على هوية الطفل العربى من خلال تأصيل ثقافته ومحاولة وضع الحلول للإسهام فى هذا التأصيل لتنشئة الطفل العربى تنشأة جمالية.. ثقافية واعية لينشأ كفرد مثقف واعٍ نافع لوطنه.. مبدع من خلال تعبيره الفنى قادر على الإحساس بمشكلاته ومشكلات وطنه وقادر على وضع الحلول المبدعة لها، مواكباً للتطورات العصرية التكنولوجية معتزلاً بثقافته وتراثه ودينه خاصة فى ظل التشويه والتحريف الظالم الحادث الآن.

هذا بالإضافة إلى أهمية تكوين الوعي لديه أيضاً بما يدور حوله فى العالم من أيديولوجيات فكرية تصدر إليه تحمل مسميات براقية توحى بالتحديث والتجديد بينما تستبطن بداخلها أفكاراً سامة هدامة تستهدف تخريب عقول الأطفال ومحو بذور الخير، وإحلال بذور الشر والهيمنة والعنف والجريمة تلك الثقافة العالمية الوافدة التى تستهدف محو هوية الأطفال وثقافتهم وتقويض القيم التربوية والأخلاقية القائمة عليها، ونشر الرذائل تحت مسمى حقوق الطفل فى ( وثيقة المرأة والطفل ) حيث ينص أحد بنودها على " إطلاق الحرية الجنسية للأطفال وعدم تدخل الكبار، وحق الإجهاض للمراهقات !!".

ومن خلال ما سبق يتم التساؤل التالى:

كيف يمكن تثقيف الطفل العربى جمالياً لمواجهة التحديات العالمية المعاصرة والمتمثلة فى العولمة الثقافية وأيديولوجيات ما بعد الحداثة كالمادية والعشبية وهدم التراث ونفى الإيمان والأديان والإلحاد والشنوؤ تحت مسميات ما بعد الحداثة كمصطلح جذاب يوحى بالحديث والجديد والمعاصر.

وحتى تتم الإجابة على هذا السؤال فإن الباحثة تفترض الفروض الآتية:

### فروض البحث:

١. يمكن تثقيف الطفل العربى جمالياً من خلال التنويع الجمالى للتراث الفنى الإسلامى ، حيث يصبح مصدراً هاماً من مصادر التعبير الفنى لدى الطفل.
٢. من الممكن إحداث توازن ثقافى لدى الطفل لمواجهة تحديات العولمة الثقافية، ومفاهيم ما بعد الحداثة من خلال توظيف الطاقة الإبداعية الخلاقة عند الطفل من خلال تراثه الفنى والثقافى.

### الإطار النظرى:

إن تكوين الوعي لدى الطفل بثقافته ومكوناتها الجمالية والأخلاقية بشكل مبسط يتناسب والمرحلة العمرية التى يمر بها هو أساس المواجهة لتحسين ذاته عندما ينشأ فى وسط هذا السيل العارم من الثقافات الوافدة وتداعياتها الأخلاقية الهدامة.

## أهمية تكوين الوعي لدى الطفل في ثلاثة اتجاهات:

١. الوعي بصميم ثقافته العربية الإسلامية ورصيدها المتراكم عبر العصور والبحث في كل أبعادها الدينية والأخلاقية والجمالية والفنية والاجتماعية كروافد ثقافية ومنابع يمكن أن تمدّه بالجديد مع أهمية عدم الاقتصار على معرفة ذاته الثقافية والجمالية فقط بل محاولة اكتشاف هذه الذات بما يجدد معرفته المعاصرة.

٢. الوعي أيضاً بالفكر الوافد وأهمية انتقاء ما يتخذ منه وأهمية توعية الطفل بأن ليس كل ما هو وافد شر مستطير، بل هناك إنجازات علمية وتكنولوجية يجب الأخذ بها والاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي المرتبط بها، وليس شرطاً أساسياً للتقدم نقل الفلسفة والفكر والفن وأنماط السلوك الأخلاقية المرتبطة بها. مما يؤصل لدى الطفل النقد الذاتي والانتقاء والغربة والبحث عن الأصل في الفكر والفن.

٣. في مجال التثقيف الجمالي والرؤية البصرية الفنية لابد أن يعي الطفل جيداً أن سبيل تقدمه وتقدم أمته ليس هو التقليد الكامل للنموذج الغربي المصدر، وأيضاً ليس هو التقليد الكامل لتراثه الجمالي السابق، بل إنشاء صلة إبداعية بين حاضره وتراثه الجمالي، ويدرك جيداً أنه لابد أن ينتج مزيجاً إبداعياً من خلال الاستيعاب والتجديد لمستقبل أكثر أصالة وجمال مما يؤصل المسؤولية الإبداعية لديه عندما يدرك أنه أمل المستقبل بالنسبة لأمته.

وعند الحديث عن تثقيف الطفل العربي يجب الاهتمام بتفسير المفاهيم والبحث عن التعريفات الأصيلة ( لمفهوم الثقافة ) النابع من البيئة العربية والفكر العربي الإسلامي الرائد وعدم الاقتصار على التعريفات المستوردة التي أفرزها الفكر الغربي والسائدة في أغلب المراجع العربية والمعاصرة.

### المعاني العربية لمفهوم الثقافة:

جاء في القرآن الكريم ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (١) أي حيث وجدتموهم ، وهي بمعنى الظفر بالشئء والفوز به وإيجاده بعد بحث وتقيب.

وقد عرف ابن خلدون الفكر العربي ورائد علم الاجتماع الثقافة في القرن

(١) سورة البقرة: الآية (١٩١).

الرابع عشر الهجرى بأنها : «العلوم والصناعات، وقد امتد تعريفه إلى البيئة الاجتماعية، وإعمار الدولة (١)».

فالعلوم تشمل المعارف والعلوم بشكل عام سواء المعارف والعلوم الأدبية أم العلمية، والصناعات تشمل التطبيقات العملية كالعمارة والفنون والخط والهندسة والصناعة وكل ما هو مصنوع وعملى وتطبيقاتى.

يذكر المعجم الوسيط مفهوم الثقافة من خلال الأصل اللغوى ( ثقَّفَ أى هذب) (٢).

أما فى لسان العرب فمفهوم الثقافة يأتى من الفعل ( ثقف ) أى حذق ومهارة وفهم وضبط ما يحويه وقام به أو ظفر به.

أيضاً ( ثقف ) بمعنى فضنْ ذكى ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (٣).

كذلك ( ثقف ) بمعنى تهذيب وتشذيب وتقويم وتسويه من بعد اعوجاج (٤).

### معانى ودلالات الثقافة فى أصلها العربى:

١ . يذكر نصر محمد عارف أن مضمون ( الثقافة ) فى اللغة العربية ينبع من الذات

الإنسانية ولا يغرس فيها من الخارج، وهى تعنى تنقية الفطرة وتشذيبها وتقويم

اعوجاجها، وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التى يحتاج إليها الإنسان (٥).

٢ - كما أنها تعنى الدقة والمهارة والفهم والضبط لكل عمل يقوم به الإنسان، أو علم

يظفر به بعد بحث وتنقيب، وتهذيب ذلك العلم وتقويمه بمعنى انتقاء المعارف

والأفكار والصناعات الصالحة والنافعة لإقامة الحضارة، وليس استيراد معارف

وأفكار تفسد القيم لدى النشء ولا تتوافق مع إطلاق الإبداعات والطاقات

(١) عبد الرحمن بن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون .

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، القاهرة، ص ٩٨ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب، الجزء العاشر، مادة ثقف .

٤٠٤ (٤) القاموس للحيط، الجزء الثالث، مادة ثقف .

(٥) نصر محمد عارف: الحضارة. الثقافة. المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمى

للفكر الإسلامى - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٣١

الكامنة، وذلك عكس المفهوم الغربي الذي يعرف الثقافة بأنها كل المعارف والعادات والملابس والقانون وكل ما يكتسبه الإنسان من البيئة.

كما أن الثقافة بمفهومها العربي تختلف عن مفهومها الغربي الذي يعنى الزرع والغرس والفرس والتنمية " حيث يرتبط مفهوم الثقافة بالنمط المجتمعي الذي يعيش الإنسان في ظلّه، وليس بأي مقياس آخر يقسم الثقافات قياساً على ثقافة معينة مثل مفهوم culture القائم على الغرس والفرس والمعيارية في التعامل مع الثقافات الأخرى، فوظيفة المثقف العربي أن يكون مرتبطاً بمجتمعه وقضاياها بغض النظر عن كم المعارف والمعلومات المكسدة في ذهنه والتي قد تكون أفكاراً ميتة أو بميتة<sup>(١)</sup>.

وذلك عكس مفاهيم الثقافة الغربية التي تهتم بالفرس والغرس والأنماط الثقافية الخاصة بها بهدف تغيير العالم فكرياً، فالغرب يمارس فكرياً النظرة الفوقية للجنس الأبيض الذي يؤمن بتفوقه على جميع الأجناس.

يقول حسن حنفي: « إن هناك مركزية دفينية في الوعي الغربي تقوم على عنصرية عرقية والرغبة في الهيمنة والسيطرة، فالأبيض أفضل من الأسود والأصفر والأحمر والأسمر فقد استؤصل الهنود الحمر من أمريكا وأستراليا، وسرق الأفارقة السود في بداية عصور الحداثة صيداً كالحيوانات لبناء القارة الجديدة، وتم احتلال العالم العربي الإسلامي الأسمر، وألقيت أول قنبلة نووية على الجنس الأصفر في هيروشيما وناجازاكي<sup>(٢)</sup>.

### معاني ودلالات كلمة ثقافة في المفهوم الغربي:

«ترجع كلمة Culture إلى اللفظ اللاتيني Culture الذي يعنى حرث الأرض وزراعتها»<sup>(٣)</sup> وقد استمر هذا المعنى متعارف عليه في العصرين اليوناني والروماني

(١) نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) حسن حنفي: الثقافة العربية بين العمولة والخصوصية، المحيط الثقافي، العدد ٨، يونيو ٤، ٢، ص ٤٢.

(٣) Wiener, Philips: Dictionary of the Ideas, New York, Scribner\_s Sons 1973, P. 613.

حيث استخدمها ( شيشرون ) مجازاً بالدلالات نفسها حيث أطلق على الفلسفة (Mentis Culture) أى زراعة العقل وتنميته<sup>(١)</sup>.

أما تايلور عالم الانثروبولوجى الإنجليزى فيعرف الثقافة : « بأنها ذلك الكل المركب الذى يتضمن المعرفة والمعائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات التى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع. »<sup>(٢)</sup>

**مفاهيم الحدائثة:**

يعرفها بودريار بقوله: « تقوم الحدائثة على المعرفة الفكرية والعقلية والعلمية فقط كما تعتمد على لغة تحليلية، وأنظمة ديموقراطية وتراكيب اجتماعية طبقية »<sup>(٣)</sup>.

أما محمد سبيلا فيذكر: « تعبر الحدائثة عن نفسها بتمجيد الذاتية العميقة والأهواء والتفرد والميعار الذاتى، وما هو عابر، وما لا يمكن إدراكه، كما تعبر عن نفسها بتحطيم القواعد، وإبراز الشخصية الذاتية الواعية بنفسها أولاً »<sup>(٤)</sup>.

كما سبق يتضح التركيز على الجوانب الفكرية والعقلية وإهمال الجوانب الروحية والوجدانية لأنها غير معترف بها فى الفكر الحدائثى، واعتبار المعايير ذاتية فلا توجد قيم أخلاقية أو فنية ثابتة بل متغيرة بتغير الأهواء والأشخاص وتحطيم القواعد يشمل تحطيم التراث والدين والفكر والفن وكل ما سبق وكل الماضى والبده من نقطة الصفر فى الواقع المعاصر.

« وقد أثار موضوع الحدائثة فى الفكر العربى الحديث جدلاً شديداً بين أنصارها وخصومها فأنصارها يذهبون إلى أنها التى تقف وراء التقدم الحضارى والسياسى والاجتماعى والعلمى الذى شهده الغرب ومن هنا لا بد من تطبيقها، أما خصوم الحدائثة فيرون أنها فى كثير من ممارساتها مضادة للقيم التراثية ما دام النموذج الإسلامى قائماً ويمكن تحديثه وإحيائه »<sup>(٥)</sup>.

(١) معن زيادة: معالم على تحديث الفكر العربى، عالم المعرفة، الكويت، العدد رقم ١١٥، ١٩٨٧، ص ٧

(٢) E. Tylor: Primitive Culture, New York, Brentano\_s, 1924, P. 1.

(٣) هشام شرايى: المجتمع التقليدى والحدائثة، مجلة الأزمنة، باريس، ١٩٩٦، ص ٩١

(٤) محمد سبيلا: الحدائثة، دفاتر فلسفية، دار طويق للنشر، الرباط، ١٩٩٦، ص ١٧٢

(٥) السيديس: العالمية والعولمة، دار نهضة مصر، ط ٢، فبراير ١، ٢٠٠٢، ص ٢٩٥.

فى ظل هذا الجدل ظهرت مفاهيم ما بعد الحدائة لتهدم كل نظريات الحدائة معلنة سقوطها وإخفاؤها فى تحقيق أهدافها ، ومعلنة ظهور اتجاهات ما بعد الحدائة وأقول اتجاهات لأنها لم تصل بعد إلى مرحلة النظريات، خاصة وأن من أهم مبادئ ما بعد الحدائة الثورة على النظريات والأنماط المحددة.

### ما بعد الحدائة:

«جاءت مفاهيم ما بعد الحدائة فى الفن لتتضمن مفهوم المزاوجة بين الطرز المختلفة»<sup>(١)</sup>.

ويقول جينكس عن مضامين ما بعد الحدائة: « تتضمن العلاقة المركبة بين الماضى وإعادة تفسير التراث، والمزج بين الطرز المختلفة، وتقوم على استخدام المفارقة الساخرة والغموض والتناقض والهارمونية الغير متجانسة وتعدد الدلالات الرمزية»<sup>(٢)</sup>.

تهتم ما بعد الحدائة بالذاتية الإنسانية وتمجيدها للفردية وإشباع الرغبات الذاتية، وفى الفن لا تعترف بفردية التراث وتمييزه وتعبيره عن مضامين حضارية وفلسفية وجمالية بل تجعل أهم أهدافها تشويه التراث بإضافة عناصر غير متجانسة أو متوافقة إلى النماذج الفنية بشكل مشوه ساخر، فمبدأ العبث ينعكس فى كل عمل فنى لا يحمل مضمون سوى التشويه والتخريب والقبح ، كما أن فن ما بعد الحدائة لا يحمل قيماً جمالية ولا أخلاقية.

### العولمة الثقافية:

«يقصد بالعولمة الثقافية خلق ثقافة عالمية، وفرض أذواق واحدة وعن طريق سوق استهلاكية عالمية ليس لها سابقة تغير من العادات المحلية وهنا تثار مخاوف عن تهديد هذه الثقافة العالمية للخصوصيات الثقافية، ومن بينها الخصوصية الثقافية العربية ومن هنا تأتى أهمية تأكيد الثقة بالذات فى مجال التفاعل مع تجليات العولمة»<sup>(٣)</sup>.

(١) مارجرى روز: ما بعد الحدائة، ترجمة أحمد الشامى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٥٦

(٢) H. Jenks: The Language of Postmodern Architecture , London, 1977, P. 18.

(٣) السيد يس: المرجع السابق، ص ٣١٣.

«إن العولمة الثقافية تعنى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم الثقافية فى ميدان الاتصال وهى الترويج التاريخى لعمليات السيطرة منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعمارى منذ قرون، وحققت نجاحات من إلحاق التصفية والمسح بثقافات جنوبية متعددة خاصة فى إفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية»<sup>(١)</sup>.

وليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هى الانتقال من حقبة ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هى الثقافة العالمية أو الكونية كما يدعى مروجو فكرة العولمة الثقافية ، بل إنها فعل اغتصاب ثقافى وعدوان رمزى على سائر الثقافات فيهدد سائر الثقافات التى تبلغها عملية العولمة»<sup>(٢)</sup>.

العنف الثقافى: ' ينطوى على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية فى رؤية ثقافته، ويرادف ذلك الإكراه والعدوان »<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا تصبح الثقافة العربية عامة وثقافة الطفل العربى خاصة فى معترك حقيقى تصدر من خلاله المفاهيم تحت مسميات براءة توحى بالتجديد والتحديث، والعالمية والتقدم الموهوم.

وعلى ذلك تصبح الثقافة فى ظل العولمة وتداعياتها من تيارات الحدائث وما بعد الحدائث، والمادية والعشبية التى تهدم كل قيم الجمال وتهدم التراث وتلغى الانتماءات الثقافية لحساب استثمار المصالح الذى يقوم أساساً على الإلحاد ونفى كل ما هو مقدس واستبعاد كلمة الإيمان من قاموس مصطلحات ما بعد الحدائث.

يقول المفكر الفرنسى آلان تورين: «فمنذ أن فصمت الحدائث عرى وحدة العالم القديم، العقلانى والمقدس فى آن معاً لقد كلفت العقل باكتشاف قوانين العالم، وكلفت الوعى بإظهار ذات لم تعد إلهية ولكن إنسانية، ثنائية الحدائث بعد أن تداعت أصبح ينبغى الاستماع لصوت الذات والذى لا يكون استبطاناً بل كفاح من أجل

(١) مصطفى دسوقى كسبة: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٩٨، شوال ١٤١٩ هـ - يناير ١٩٩٩، ص ٥١.

(٢) مصطفى دسوقى كسبة: المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣) عبد الإله بلقزيز: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٢٩، مارس ١٩٩٨، ص ٩٨.

الحرية ضد منطق السلعة والسلطة، هذه الذات هي إرادة الفرد والجماعة في أن يكونا صانعي حياتيهما، وهي أيضاً ذاكرة وانتماء»<sup>(١)</sup>.

هذه باختصار شديد هي الخلفية الفكرية لصيحات الحداثة التي يرفضها العالم الآن، وما بعد الحداثة التي تبهرنا كمصطلحات جذابة ظاهرها يوحى بالجددة والتجديد وباطنها يهدم المبادئ وتخفى بين ظلالها قتالها ضد الدين ويصبح الإنسان ورغباته وفرديته الذاتية هما مقياس كل شيء، يقول الآن تورين: " يؤدي تمزق المقدس إلى تحطيم النظام الديني وكذلك كل أشكال النظام الاجتماعي حيث حددت الروح الحديثة نفسها بقتالها ضد الدين"<sup>(٢)</sup>.

وتصبح هذه الاتجاهات هي الاتجاهات السائدة عالمياً والتي تصدر إلينا وعلى مجتمعاتنا تحت مسميات لا يهتم البعض منا بالبحث في مضامينها في ظل غياب الوعي بها للوصول إلى أصولها وخلفياتها الفكرية المسمومة، وتحليلها تحليلاً ناقداً قبل استيرادها واستيعابها لتحل محل ثقافة أصيلة نابعة من الجذور، ثقافة إيمانية إذا عملنا بها أصلحنا الدنيا والآخرة.

وفي ظل هذا المناخ العالمي السائد وفي ظل ثقافة ما بعد الحداثة المهيمنة والسائدة مع سيادة العولمة كاتجاه اقتصادي استعماري أولاً ثم فكري ثقافي بعد ذلك والمصدر إلينا من خلال وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والمنبث في كارتون الأطفال وألعاب الكمبيوتر الموجهة للطفل العربي الذي لا يجد على الساحة العربية ما يحل محلها اللهم إلا أقل القليل. في ظل كل هذا يجب علينا التشبث بأصولنا الدينية لحماية ذاتيتنا الثقافية وهويتنا الحضارية.

يقول عفيف بهنسي: « عند البحث عن الذاتية الثقافية لأمة من الأمم فإن الهدف لن يكون فلسفياً مجرداً، بل هو هدف حضاري لذلك تتسابق المؤسسات الثقافية والمنظمات العالمية والحركات القومية لتوضيح معالم الذاتيات الثقافية لأن الحضارة الإنسانية تنمو وتزدهر تبعاً لازدهار أشكال الثقافات القومية»<sup>(٣)</sup>.

(١) آلان تورين: نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.

(٢) آلان تورين: المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٣) عفيف بهنسي: العمران الثقافي بين التراث والقومية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧،

إن تشقيف الطفل العربي جمالياً يعتبر أول خطوة على طريق تأصيل الهوية والانتماء وهو يعتبر أمانة علمية ثقافية وواجباً حضارياً فنحن الآن فى أشد الاحتياج لتجذير التراث فى أرض المعاصرة ولا يعنى ذلك نقل التراث واستنساخه.. ولكن استلهامه وإعادة بناءه باعتباره الأرض الخصبة والمكون الرئيسى لثقافة الطفل العربى وتجديد لغة التراث الفنية بما يتلاءم مع مقومات المعاصرة، وتطويره ونموه داخل سياقه الذاتى، وعدم الوعى بذلك يجعل النهضة توند فى مهدها، أو ترتدى ثياباً مغتربة عن أصولها، فمن الأمانة الحضارية إيقاظ الوعى بالثقافة الجمالية لدى الطفل لتأصيل الانتماء الثقافى لديه، ويصبح ذلك بمثابة استنشاق العمق الروحى لتراثنا هذا العمق، المفتقد فى الفن الغربى الوافد الذى يحمل مضامين العدمية التى جاءت بها نزعات ما بعد الحداثة \_ وأنه لا قيمة ولا مبدأ فكل شىء نسى \_ ونزعات نهاية العالم ونهاية التاريخ والانتصار الأبدى للرأسمالية الأمريكية الذى جاء به فوكوياما كل ذلك يصدر إلينا معبراً عنه من خلال الفن وموجات ما بعد الحداثة التى تؤصل النزعة نحو العدمية وانهايار كل ما هو ثابت ويقينى والمتأصل فى فنون التراث القومى وإحياءه من جديد فى طور المعاصرة.

بينما القيم ما زالت موجودة عندنا ولها وزنها وقيمتها وللحياة معنى ولا معنى للعدم فى فكرنا المعاصر ولا نهاية للتاريخ فالتاريخ متجدد دائماً ومتنوع دائماً طالما هناك أناس على وجه الأرض، فالإنسان هو الذى يصنع التاريخ كما يقول «ابن خلدون»، وبرغم القهر والضغط والتبعية والمرارة وامتهان الكرامة الذى ينطبع فى قلوبنا عندما نرى بشائر تجليات العولمة الثقافية فى نظرية هنتنجتون وحتمية صراع الحضارات فيما يحدث فى فلسطين والعراق والسودان وأفغانستان والشيشان والبوسنة وأوزبكستان وتطبيقاتها العملية فى الواقع الفعلى والحرب الصليبية الجديدة التى أعلنها بوش، وكل الأمور محددة مسبقاً فقد حدد الغرب عدوه فى القرن القادم وهو الإسلام خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانتهاء الحرب الباردة وينعكس ذلك فى الإعلام الإرهابى الغربى الموجه بصورة شرسة والذى يصدر إلينا وإلى أطفالنا من خلال أفلام الكارتون والكاريكاتور وإلى شبابنا فى الغرف المغلقة عن طريق الإنترنت

وإننا باستكانتنا المخجلة وفي ظل غياب وسائل الإعلام العربية التي تصحح الأوضاع، نحن نحكم بالفناء على أصولنا الحضارية التي يقوم بتشويهها الغرب ويصدرها إلينا وإلى شبابنا الذي أوحينا إليه بأن التبعية للغرب هي سبيل النهضة وتقليد الفن الغربي هو قمة الإبداع مما يقضى على أى أمل لنا فى البقاء والمواجهة الحضارية.

وإذا كنا لسنا من الشرق ( روسيا ) ولا من الغرب ( أمريكا ) فمن نحن إذن؟ لقد بدأ البحث عن هذا الخيار يقطع خطواته فى مراحل كل مرحلة تسلم إلى الأخرى فى خطوات تصاعدية وأن مرحلة فعلية قد بدأت فى الظهور، حقا هى فى أول الطريق ولكنها أبدأ لن تعود إلى الوراء<sup>(١)</sup>.

إن هيمنة الثقافة الغربية على الثقافات المحلية فيما يعرف بمصطلح ( أيديولوجية التبعية) من شأنه تفكيك أواصر الانتماء القومى لدى الطفل العربى.

كذلك استيراد النظريات الفنية الجمالية الغربية مما يعزز التبعية للغرب، خاصة مع إغفال التراث الفنى القومى وعدم الاهتمام به وإتاحة مساحة عريضة لاستلهامه فنياً بالرغم من أن أحد أهداف التربية الفنية ينص على ( الاهتمام بالتراث والمحافظة عليه ونقله وتطويره ).

وتشقيف الطفل العربى جمالياً هدف هام يجب الانتباه له خاصة الآن أثناء الانفتاح الكبير على الغرب، وفرض وهيمنة قيمه الحضارية فيما يطلق عليه ( العولمة ) حيث يتخذ الآخر كنموذج عالمى للقيم، ومنذ أن أصبح الغرب نموذجاً للتقدم، وأصبح الاعتقاد الخاطيء بأن التقدم هو بمثابة الانفتاح على هذا الغرب، واستعاره أنماطه الثقافية، صار من الضرورات الملحة النظر فى مقومات التقدم الحضارى الخاص، بهدف البحث عن الذاتية الثقافية فى مقابل التغريب، والأصالة فى مقابل التبعية، والتواصل الحضارى المزدهر فى مقابل التجاهل والانفصال، فليس الغرب هو نموذج التحضر والتقدم وليس الشرق هو المتخلف والإرهابى كما قال بيرلسكونى

(١) عبد الرحيم إبراهيم: الوسطة وحوار الحضارات، بحث منشور ضمن مؤتمر العولمة والهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص ١٧٢، ١٧٣.

الوزير الإيطالي الذي يحاكم حالياً بتهمة الفساد ولكننا ( خير أمة أخرجت للناس ) بشرط أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونؤمن بالله ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ . (١)

وليست العولمة الثقافية وما بعد الحداثة هي السبيل إلى النهضة وتأكيد الهوية لدى الطفل العربي وإنما سبيل النهضة هو اتخاذ الإطار الثقافى الخاص والمحلى كقاعدة ومرجعية ننطلق منها إلى العالمية من خلال استيعاب المتغيرات التكنولوجية المعاصرة.

والتحدى الراهن هو فك أغلال الفكر العربى والثقافة العربية وانطلاقها من أسر التحدى وهو معرفة مكونات أصول الفكر الجمالى فى التراث وجعله منطلقا وليس مرجعاً نستكين عنده ونظمئن، ومعرفة مكونات الحاضر المعاصر الثقافية وعمل مزج ثقافى ابتكارى إبداعى معاصر مكون من التراث الجمالى والمعاصرة، فالتراث أنتج تعبيراً عن متطلبات عصر معين فلا يجوز تعميمه فى الواقع المعاصر، ولكن يجوز الاستفادة من بعض جوانبه الفكرية والفنية وجعلها أحد مكونات المعاصرة من خلال استلهاها المعاصر وإلا أصبحت هيمنة التراث بدلاً من هيمنة العولمة الثقافية، وفى نفس الوقت لا يعنى تأكيد الهوية من خلال التاصيل للذاتية الثقافية لفظ معطيات العصر التكنولوجية ولكن الاهتمام بها وجعلها أساس النهضة، بينما ما يحدث الآن هو استيراد وتقليد الثقافة وأنماط السلوك ولفظ العلم والتكنولوجيا الحديثة التى لا بد أن يتم الأخذ بها وتبسيطها للطفل منذ المراحل التعليمية الأولى باعتبارها المرتكز الأساسى للنهضة ولكن من خلال الذاتية الثقافية والتراث.

إن التربية الفنية المعاصرة داخل إطار التعليم تهتم بالتراث الحضارى والفنون بأنواعها كأحد المحاور الهامة التى تلعب دوراً فعالاً فى تربية الطفل وتعليمه وتمثل طاقة إبداعية خلاقة فى مناهج الدراسة فى المدارس حيث يعد ذلك بمثابة لغة للتواصل بيننا وبين ماضيها المزهرة الذى يحمل بين طياته السمات الجوهرية والجينات الأصيلة لبناء حضارة معاصرة ذات أصالة موعلة فى القدم فى محاولة لتأكيد الهوية الثقافية للطفل فقد آن الأوان لأن نكون أنفسنا لا مقلدين ولا مستوردين من خلال

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

تأصيل ذاتيتنا الثقافية بهدف إبعاد شبح التبعية الثقافية الذى يؤدى فى الغالب إلى محو الشخصية الفردية والحضارية المتميزة لدى الطفل العربى .

يؤكد أحمد هيكل وزير الثقافة السابق أن أساسيات النهضة لا بد أن تنبع من تراثنا وذلك ببساطة لأنها تكمن بداخله فيقول: " إن مقومات نهضة الأمة العربية الإسلامية تكمن فى ثنايا تراثنا الخالد الذى يجب التمسك به وذلك لأن الحدائث نبت غربى لا يمت للبيئة العربية بصلته، وأن أخطر ما يهدد الوجود الإسلامى اليوم هو ( العولمة ) ذلك الشبح الذى يبنى تحطيم الثقافات والهويات من أجل ثقافة واحدة ذات بعد سياسى معروف لا يدعو إلى التحاور بقدر ما يؤكد سيادة الهيمنة والسيطرة والاحتصاب»(١).

وأول خطوة هى البحث عن مقومات النهضة داخل إطار التراث بكل أنواعه العلمى والفكرى والفنى حيث يمكن استخلاص رؤى جمالية صرفة تحمل بين طياتها الجينات الأصلية لبناء فن يسهم فى تأصيل الهوية الثقافية والانتماء لدى الطفل العربى ومعلمى الفنون من خلال الفنون المختلفة ومجالاتها فى التراث الفنى الإسلامى.

فالطفل يحتاج إلى من يساعده لاكتشاف موهبته والتعبير عنها بالوسائط المختلفة، كما يحتاج إلى توجيه إلى أهمية التعامل مع التراث وكيفية استلهامه، كذلك إلى أهمية عدم إهدار طاقته الفنية فى النقل المباشر السطحي للتراث، كذلك عدم النقل عن الفن الغربى المهيمن عالمياً الآن فالطفل العربى اليوم يرسم الميكى ماوس وبات مان ويرسم المنزل الإنجليزى فهو يرسم بيئة مغايرة تماماً لبيئته لأن ذلك يهدم طاقة الإبداع بداخله ويؤصل لتغريبه عن بيئته.

ومن المهم جداً وضع برنامج لكيفية رعاية الأطفال الموهوبين فنياً من خلال استلهام التراث ويشمل رعاية فنية عملية وثقافية فكرية لما يفتقده هذا الجانب من قصور فى العملية التعليمية.

---

(١) أحمد هيكل: الحدائث نجر أذيال الهزيمة بعد أن فشلت فى تقديم نفسها للمشقف العربى، مقال منشور فى مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٤٤٢، جمادى الآخر ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ٤٢، ٤٣.

## أصول تنشيف الطفل العربي جمالياً وارتباطها بأهداف التربية الفنية،

تهدف التربية الفنية إلى تنشيف الطفل جمالياً من خلال تنمية مجموعة من المهارات والاتجاهات المرتبطة بالفن والتربية الفنية، والتي تؤكد بناء الشخصية وتكاملها وما ينتج عن ذلك من تغير في سلوك الطفل وثقافته.

وأهم هدف من أهداف التربية الفنية تنمية الذوق الجمالي لكل ما في الكون من مشاهد خلقها الله سبحانه وتعالى، وما صنعتها يد الإنسان من خلال الرؤية والاستلهام والإبداع وما ينتج عن ذلك من تغير في سلوك الطفل من خلال تدريبه على رؤية الجمال والقيم الجمالية وترسيها في وعي الطفل ووجدانه.

«وديننا الإسلامي الحنيف حثنا في مواقف كثيرة على رؤية الجمال والمتعة به وممارسته في سلوكنا لنكون أفضل الناس، وهناك آيات من القرآن الكريم تقرر أن الجمال أحد الأركان الرئيسية فيما أبدعه الله في الكون بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الكهف: الآية ٧. ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ سورة الحجر: الآية ١٦. ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوَاكِبِ﴾ سورة الصافات: الآية ٦. وقال الله تعالى في وصف الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ سورة النحل: الآية ٦. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ سورة لأعراف: الآية ٣٢. ﴿الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سورة الكهف: الآية ٤٦. ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ سورة الأعراف: الآية ٣١ وليست الزينة من ناحية الملابس فحسب، وإنما في شتى أنواع السلوك التي تكون جميلة حين تصبح أخلاقية وخيرة»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الجمال في آيات متعددة وفي مواقف مختلفة حتى أنه تجاوز الجمال من ناحية الشكل إلى الفوص فيه كأساس سلوكي فالصفح جميل، والصبر جميل، والهجر وإن لم يكن جميلاً ولكن يمكن أن يؤدي بجمال وعند تأمل الآيات في الصفح ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ سورة الحجر: الآية ٨٥، وفي التسريح: ( فَمَتَّعُوهُمْ وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ) سورة الأحزاب: الآية ٤٩، وفي الصبر:

(١) محمود البيونى: الفن في تربية الوجدان، مرجع سابق، ص ٢٥.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ سورة المعارج: الآية ٥. وفى الهجر: ﴿وَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجُهُمْ هَاجِرًا جَمِيلًا﴾ سورة المزمل: الآية ١٠. فيها هو ذا الجمال قد وسع فى آيات الله وعمم ليكون أسلوباً للسلوك الخير وهو فى الواقع أمل تهدف إليه التربية الفنية بمفهومها الإسلامى فمن مجال إدراك الجمال فى الأعمال الفنية التشكيلية بالممارسة، والنقد والمقارنة والثقافة، ينتقل الجمال إلى عادات حية تؤثر فى المسالك الأخرى الاجتماعية التى يقوم بها الفرد وحيثذ يمكن القول: إن سلوكه أصبح يتسم بالجمال<sup>(١)</sup>.

ومن أهداف التربية الفنية تنمية القدرة على الإبداع لدى الطفل ومن ثم تنمية قدرته على اكتشاف الجميل والجديد وتذوقه، وعدم التكرار الآلى لأعماله الفنية، وذلك من خلال رؤيته للإبداع فى الطبيعة وشحن خياله وتصويراته من خلالها، ورؤيته للأعمال الفنية المبدعة عبر التراث.

ويؤكد البيسونى أن العملية الإبداعية لا تأتى بشكل عشوائى كما أنها لا تتم بطريقة واعية من الفنان فيقول: «إن عملية الإبداع وراءها سر الخالق الأعظم ووراءها سر الكون وقد جاء فى نصوص متعددة من القرآن ما يشير إلى هذا المعنى ويؤكد أنه فهناك آية تقول: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سورة الكهف: الآيات ٢٣، ٢٤، فمشيئة الله هى التى تؤدى دورها حين يتحرك الإنسان إلى الأمام ويحاول مجابهة المستقبل، أو يسعى إلى الإبداع. ولا بد أن يشاء الله حتى يتم هذا الإبداع، ولا يمكن أن يدعى الإنسان أنه بإمكاناته وحدها يتم هذا الإبداع.. فنحن ثمرة من قدرة الخالق، بسره تفكر، وبه نبعد ومن خلال تفكيرنا وإبداعنا نتقرب درجات ضئيلة نحو فهم سر الكون وسر عظمته الذى يظل الإنسان يجاهد ما عاش لكى يكشف عنه<sup>(٢)</sup>. إن إيصال تلك المفاهيم للطفل من خلال معلومة مبسطة أثناء ممارسة التعبير الفنى من شأنه تعميق قيم الإيمان بالله والاستعانة به فى كل عمل. ومن ناحية أخرى فإن الإبداع هو مظهر من مظاهر رقى الحضارات وتقدمها فالأمم والحضارات التى ارتقت عبر التاريخ، قامت من خلال الإبداع فى شتى

(١) محمود البيسونى: الفن والتربية، مرجع سابق، ص ٢٧٣

(٢) محمود البيسونى: الفن فى تربية الوجدان، مرجع سابق، ص ٩، ١٠.

المجالات، وتهتم التربية الفنية في المقام الأول بتنمية قدرة المتعلم على الإبداع، كما تهتم أيضا بتشكيل العقلية الابتكارية التي لديها القدرة على رؤية الجديد وتكشفه واستنباطه من خلال ميدان الفن الخصب الذي يتيح الفرصة لنمو قدرات الطفل الابتكارية، ومن خلال إدراك العلاقات الجمالية في الكون من حوله وفي التراث الفني الإسلامي، وكيفية استلهاهما، وتضمينها في أعماله الفنية مستلهما بذلك القيم الجمالية والابتكارية العديدة المتضمنة فيما خلقه الله سبحانه وتعالى من إنسان وحيوان، ونبات، وظواهر كونية طبيعية لا يسع الطفل عند إدراكها إلا أن يقول تبارك الله أحسن الخالقين.

ويقول البيسوني: « إذا كان ذلك صحيحا فإنه يترتب عليه مسائل كبيرة في منهاج التعليم، والذي أقل ما يوصف به حاليا أنه منهاج آلى لا يربط المخلوق بخالقه، فعندما يوضع التلميذ في وضع المستقبل، عليه أن يحفظ القواعد والحقائق ويردها، ولا يسمح له أن يوظفها في مجالات جديدة، أى لا يسمح له أن يبدع، فإنه سيظل في بعد عن إدراك عظمة الخالق، فمن خلال الإبداع وحده يقترب الإنسان من ربه. لذلك كلما تغيرت مناهج التعليم وطرق تدريسها بحيث تضع المتعلم دائما في وضع المبدع كلما تغيرت إنسانيته وتغيرت إيجابيته وكفاءته، وهذا الأمر يحتاج إلى انقلاب في نظم التعليم، فالتنظيم الحالي الذي يقوم على التحصيل أى الاستقبال السلبي يحتاج إلى عملية أكثر من التحصيل ألا وهى التكيف بهذا التحصيل إلى ما هو أبعد.. إلى توظيفه في مجالات مبدعة ترفع من قدرة الطفل وتحسن من حياته ومن فهمه»<sup>(١)</sup>.

والأهداف في التربية الإسلامية مصاغة صياغة سلوكية محددة. فالقرآن الكريم لم يقدم مبادئ نظرية بهدف البحث العقلى، وإنما جاء بتوجيهات قابلة للتحويل إلى سلوك واقعى محدد، ولذا قرن القرآن بين الإيمان والعمل، فالمشاعر الإنسانية التي ترتبط بمبدأ معين لا بد وأن تلاحظ آثارها في الحياة الواقعية، والمؤمن لا يصبح مؤمنا بحق إلا إذا كانت تصرفاته في حياته العادية ترجمة صادقة للمبادئ والتوجيهات القرآنية<sup>(١)</sup>.

(١) محمود البيسوني: المرجع السابق، ص ٩، ١.

(٢) عبد الرحمن صالح عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٥.

وعلى سبيل المثال فالتربية الفنية تشجع العمل الجماعي كقيمة تربوية والتربية الفنية مجال خصب لتعليم القيم كالتعاون وإذكاء روح الجماعة من خلال الأعمال الفنية الجماعية التي تعمل على إتاحة الفرصة للمتعلم لإظهار مواهبه وإمكانياته الفنية في إطار الأعمال الفنية التي يتدرب من خلالها على التعاون مع أقرانه في المدرسة على إنتاج الأعمال التي لا يمكن لفرد واحد أن يقوم بإنتاجها كتصوير جدارى على مساحة كبيرة مثلاً.

والدعوة إلى الجماعة واردة في نصوص كثيرة من القرآن كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ سورة آل عمران: الآية ١٠٣ . وقوله جل شأنه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ سورة آل عمران: الآية ١٠٣ .

والتربية الفنية كذلك تسهم في إعلاء العديد من القيم والاتجاهات التربوية (كالإتقان) «حيث تعلم التربية الفنية الطفل أهمية إتقان العمل الفنى، واستكماله كما يؤكد الإسلام أهمية إتقان كل شىء ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ سورة الكهف: الآية ٣٠ وإحسان العمل.. إجادته والوصول به إلى درجة المهارة والكمال والإتقان».

والإسلام لم يحث المسلم على العمل فقط.. بل إلى تحسينه وتجويده وإتقانه لأن الله مطلع على كل ما يفعل يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الكهف: الآية ٣٠ . ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الكهف: الآية ٧ . ويتكرر نفس المعنى فى القرآن الكريم فى موضع آخر: ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تؤكد إحسان العمل والقيام به على أحسن وجه 'ولذلك فليس بغريب أن يكون التأكيد على الإتقان إتقان الدرس، وإتقان المهارة فى كل عمل يتعهده الفرد ضرورة تربوية»<sup>(١)</sup>.

(١) محمد فاضل الجمالى: نحو تربية مؤمنة وفلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامى ناهض، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٧، ص ٨٢.

ومن ناحية أخرى فالتربية الفنية تؤكد قيمة الانتماء للبيئة كقيمة تربوية هامة حيث يتعرف الطفل على البيئة سواء أكانت ساحلية أم ريفية أم صحراوية، كما تؤكد كذلك على معرفة الأطفال بخامات كل بيئة واستخدامها وصياغتها في إنتاج أعمالهم الفنية.

«وحينما تؤكد التربية الفنية هذا الانتماء للبيئة، وتدعمه كمدخل قومي لممارسة الفن فإنها تتفق مع ما ينشره الدين من ربط الإنسان ببيئته وإحساسه بالانتماء لأمة الإسلام التي لها آثارها الفنية من مساجد وقصور وفنون من مختلف الخامات الناتجة عن البيئة، وطبيعي إن تدريب كل مسلم على فهم تراث بيئته الإسلامي وترجمته فنياً، والمتعة به، وإدراك المقومات التي أسهمت في بناء هذا الطراز المتميز عبر العصور في كل قطر يدين بالإسلام، إن ذلك ما هو إلا انتماء على نطاق واسع فالمثذنة في كل مكان رمز لكل مسلم يذكره دائماً بأداء الصلاة، والفن الذي أنشأ العمارة الإسلامية وفروعها، كان رابطاً لكل المتضمنين لأمة الإسلام رابطاً ملموساً يشع المعاني الفنية، ويشع المعاني التي تتضمنها الآيات القرآنية التي تزخرف المساجد، والصور، والأواني، والمخطوطات، بيئة غنية بخاماتها وموضوعاتها وآثارها وتقاليدها الفنية»<sup>(١)</sup>.

### الإطار العملي التجريبي (تجربة البحث):

#### برنامج مقترح لتطبيقه في مجال التشقيف الجمالي للطفل العربي؛

وقد تم تصميم وتطبيق البرنامج من خلال ثلاثة محاور أساسية:

١. تشقيف بصرى جمالى عن طريق شحذ الرؤية البصرية للأطفال من خلال التذوق البصرى للآثار الإسلامية فى البيئة الخاصة بها.
٢. تشقيف فكرى وعلمى من خلال تقديم معلومة مبسطة للطفل عن الفنون الإسلامية وبعض القيم الجمالية المتضمنة فيها كالجمال والجلال، كالوحدة والتنوع، التجريد، التكرار الإيقاعى، المركزية، علاقة الجزء بالكل، وكيفية تحقيق ذلك فى عمل فنى أو لوحة تعبيرية أو كتب تلوين أو طباعة تى شيرت.

(١) محمود البسوى: الفن والتربية، مرجع سابق، ص ص ٢٨٠ - ٢٨١.

٣. مرحلة التعبير الفني للأطفال عما رأوه ثم تصنيف تلك الأعمال واختيار وانتقاء بعض الأعمال من كل مجموعة تصلح للتلوين بحيث يشترك كل طفل بتصميم له، وتجمع التصميمات لعمل كتيب تلوين يتم طبعه وتوزيعه على المجموعات الأخرى، ويمكن إهداءه لأصدقائه فى الفصل، حيث يتعلم الطفل عمل قام بتصميمه بنفسه، ويستخدمه فى وقت فراغه.

ويتم التثقيف الجمالى البصرى عن طريق تدريب الأطفال على الرؤية البصرية من خلال تقديم مادة جمالية واقعية ملموسة فى الواقع من حوله وذلك عن طريق زيارات ميدانية فى صورة رحلات إلى المعالم الأثرية الإسلامية فى القاهرة كمسجد السلطان حسن \_ مسجد الرفاعى \_ مسجد محمد على بالقلعة \_ مسجد قايتباى وذلك بهدف تكوين خبرة بصرية تعتمد على الملاحظة ورؤية الأثر بضخامته وعظمته ولفت نظر الأطفال إلى دلالات (الجلال ) من خلال الشموخ والرقى والعظمة والإبهار، مثال ذلك مسجد السلطان حسن من حيث الحجم والارتفاع الشاهق مع تبسيط المعنى للأطفال وربط ذلك بالحضارة الإسلامية التى أبدع من خلالها هذا المسجد كمثال والربط بينه وبين الهرم الأكبر كمثال للحضارة المصرية القديمة.

ويهدف ذلك إلى معايشة الأثر فى بيئته الطبيعية والالتفاف حوله ثم الدخول إلى المدخل الشاهق ومظاهر الجمال المتمثلة فى التصميمات الدقيقة والأطباق النجمية والكتابات القرآنية بالخطوط الكوفية المورقة والمزهرة، والتصميمات الهندسية والنباتية وكيفية تداخلها فى تصميم واحد وأن هذه التصميمات نجدتها فى باطن القبة من الداخل وعلى الأبواب وعلى جوانب المنابر وعلى الأرضيات الرخامية.

ومن شأن ذلك إثارة الإدراك البصرى بالتضاد والتنوع لدى الطفل من خلال النظرة الكلية للبناء ككل ( كوحدة جمالية قائمة بذاتها ) ثم إثارة الإدراك البصرى بالتفاصيل الفنية المتنوعة ( حيث تتجلى الوحدة من خلال التنوع ) كقيمة جمالية ثم يتم تبسيط المعنى الجمالى للطفل يعنى إيه تنوع يا أولاد؟ يعنى اختلاف.. شوفوا شكل الدائرة على الرخام مختلف عن شكل الدائرة على الخشب ده (التنوع) لكن كل الأشكال يتمثل الدائرة دى (الوحدة).

شوفوا مثلاً شكل الجامع ييمثل وحدة لكن جامع السلطان حسن مختلف عن جامع عمرو بن العاص ومختلف عن الجامع الأزهر ، مختلف عن جوامع الهند وجوامع إيران وجوامع الأندلس والمغرب ده اسمه ( التنوع ). هل نقدر نعبر عن الكلام ده من خلال رؤية كل واحد فينا ؟ ومن خلال رسومنا كلنا هنرسم مسجد السلطان حسن لكن كل رسم هيطلع مختلف عن التانى ( التنوع ).

يقول روجيه جارودى : " إن نظرة عابرة على الفنون الإسلامية فى العالم تكشف عن وحدته وأصالته فقد كان يتأبى دائماً إحساس بأن الفن الإسلامى من الجامع الكبير فى قرطبة إلى فسيفساء المساجد فى تلمسان، وجامع القرويين فى فاس، وجامع ابن طولون فى القاهرة، ومساجد أسطنبول العملاقة، والقباب البصلية فى مساجد أصفهان الساحرة كجنتات الفردوس أو المئذنة القائمة الحلزونية فى سامراء، ومن ضريح تيمورلنك إلى قبر تاج محل فى الهند ومن قصور الحمراء فى غرناطة بالأندلس إلى شيهيل سوطون فى أصفهان... قد بناه نفس الإنسان تلبية لنداء الإله الواحد، ففى الفن الإسلامى كل الفنون تفضى إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة<sup>(١)</sup>. وإدراك الوحدة فى التنوع والتنوع فى الوحدة مما يؤدى إلى تعميق مشاعر الطفل العربى الإيجابية نحو ثقافته وإدراكه أن الإسلام ليس مرادفاً للإرهاب ولكنه دين الاستيعاب الحضارى لكل تنوع واختلاف، وذلك بهدف تأكيد انتماءه وهويته وتعميق مشاعره نحو ثقافته، وعدم زعزعة ثقته بذاته الحضارية الأصيلة.

كما يتم نقل تلك النماذج العالمية من الفنون والعمارة الإسلامية والموجودة فى جميع أنحاء العالم عن طريق جهاز عرض الشرائح من خلال عرض صور طبيعية لهذه النماذج الإبداعية فى العالم.

وذلك بهدف ربط نماذج الفن الإسلامى المحلية بالنماذج العالمية وتبيان المفاهيم الجمالية كالتكرار الإيقاعى - التجريد - المركزية - اللانهائية - الوحدة والتنوع وتطبيقها على هذه النماذج كمفاهيم جمالية يمكن للطفل أن يضمناها أعماله الفنية

(١) روجيه جارودى: وعود الإسلام، ترجمة ذوقان فرقوط، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣

وتعبيره الفني وإحداث تنوع وإيقاع بها ووحدة جمالية فى نفس الوقت، مما يجعل ذلك مصدراً من مصادر المعرفة الجمالية البصرية.

مما يؤكد اعتزاز الطفل بثقافته الإسلامية العالمية وتجلياتها الجمالية والحضارية وكيف أن الإسلام كدين وحضارة وفن كان يمثل اتجاهاً عالمياً وحضارياً أسهم فى نهضة أوروبا الحديثة والمعاصرة عندما أخذت بعلم وفنون العلماء المسلمين فى العصور الوسطى المظلمة فى أوروبا قديماً والمزدهرة فى الإسلام، وكيف أن الإسلام هو دين الجمال والفن والحضارة والعلم وليس الإرهاب كما يوصمونه الآن فى كل مناسبة، والتأكيد على أن ذلك كذب وافتراء وبهتان وزور وتشويه لحضارة عالمية متسعة أضواء العالم بالعلوم والفنون ولم يضاهاها حتى الآن أى حضارة أخرى، فالحضارة المصرية القديمة نشأت فى وادى النيل ولم يصل تأثيرها إلا إلى بعض البقاع حولها، وحضارة بابل وآشور لم يتعد مداها بلاد الرافدين، كذلك حضارة فارس وحضارة الصين..

وده بيدل يا أولاد على أن الثقافة الإسلامية هى ثقافة عالمية تهدف للتواصل والتوافق والحوار مع كل الأجناس والقوميات واللغات والألوان، ولا تهدف أبداً إلى الصراع أو الصدام بين الحضارات تشهد على ذلك النماذج الجمالية الإبداعية للفنون الإسلامية فى جميع أنحاء العالم رغم تنوع الثقافات والهويات التى امتزجت بثقافة الإسلام، والتى تفاعلت بدورها تفاعلاً إيجابياً واحتضنت كل الثقافات العالمية فنشأت الوحدة القائمة على التوحيد فى الثقافة الإسلامية من خلال التنوع القائم على الاختلاف بين الأجناس واللغات والقوميات، وأن الوحدة والتنوع كمدلول جمالى نجدتها منعكسة فى جميع مجالات الفن الإسلامى لأن الوحدة قائمة على التوحيد لله الواحد والتنوع قائم على اختلاف البشر.

## المراجع

- ١ - سورة البقرة: الآية (٣٠).
- ٢ - سورة البقرة: الآية (١٤٣).
- ٣ - سورة الحجرات: الآية (١٣).
- ٤ - سورة البقرة: الآية (١٩١).
- ٥ - عبد الرحمن بن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون .
- ٦ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، القاهرة، ص ٩٨.
- ٧ - ابن منظور: لسان العرب، الجزء العاشر، مادة ثقف.
- ٨ - القاموس المحيط، الجزء الثالث، مادة ثقف.
- ٩ - نصر محمد عارف: الحضارة. الثقافة. المدنية. دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٣١
- ١٠ - نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ١١ - حسن حنفي: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، المحيط الثقافي، العدد ٨، يونيو ٢٠٠٤، ص ٤٢.
- ١٢ - Wiener, Philips: *Dictionary of the Ideas*, New York, Scribner's Sons 1973, P. 613.
- ١٣ - معن زيادة: معالم على تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، العدد رقم ١١٥، ١٩٨٧، ص ٧
- ١٤ - E. Tylor: *Primitive Culture* , New York, Brentano's, 1924, P. 1.
- ١٥ - هشام شرابي: المجتمع التقليدي والحداثة، مجلة الأزمنة، باريس، ١٩٩٦، ص ٩١
- ١٦ - محمد سيّلة: الحداثة، دفا تر فلسفية، دار طوبقال للنشر، الرباط، ١٩٩٦، ص ١٧٢
- ١٧ - السيد يس: العالمية والعولمة، دار نهضة مصر، ط ٢، فبراير ١، ٢، ص ٢٩٥.
- ١٨ - مارجريت روز: ما بعد الحداثة، ترجمة أحمد الشامي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٥٦
- ١٩ - H. Jenks: *The Language of Postmodern Architecture* , London, 1977, P. 18.
- ٢٠ - السيد يس: المرجع السابق، ص ٣١٣.

- ٢١- مصطفى دسوقي كسبة: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٩٨، شوال ١٤١٩ هـ \_ يناير ١٩٩٩، ص ٥١.
- ٢٢ - مصطفى دسوقي كسبة: المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٢٣- عبد الإله بلقزيز: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٩، مارس ١٩٩٨، ص ٩٨.
- ٢٤ - آلان تورين: نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.
- ٢٥ - آلان تورين: المرجع السابق، ص ٢٨١.
- ٢٦ - عفيف بهنسي: العمران الثقافي بين التراث والقومية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧، ص ٤٠.
- ٢٧ - عبد الرحيم إبراهيم: الوسطية وحوار الحضارات، بحث منشور ضمن مؤتمر العولمة والهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص ١٧٢، ١٧٣.
- ٢٨ - سورة آل عمران: الآية (١١٠).
- ٢٩ - أحمد هيكل: الحداثة نجر أذبال الهزيمة بعد أن فشلت في تقديم نفسها للمثقف العربي، مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٤٢، جمادى الآخر ١٤٢٣ هـ - سبتمبر ٢٠٠٢ م، ص ٤٢، ٤٣.
- ٣٠- محمود البسيوني: الضن في تربية الوجدان، مرجع سابق، ص ٢٥.
- ٣١- محمود البسيوني: الضن والترقية، مرجع سابق، ص ٢٧٣.
- ٣٢- محمود البسيوني: الضن في تربية الوجدان، مرجع سابق، ص ٩، ١.
- ٣٣- محمود البسيوني: المرجع السابق، ص ٩، ١.
- ٣٤- عبد الرحمن صالح عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٥.
- ٣٥- سورة الكهف: الآية (٣٠).
- ٣٦- سورة الكهف: الآية (٧).
- ٣٧- محمد فاضل الجمالي: نحو تربية مؤمنة وفلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامي ناهض، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٧، ص ٨٢.
- ٣٨ - محمود البسيوني: الضن والترقية، مرجع سابق، ص ٢٨، ٢٨١.
- ٣٩ - روجيه جارودي: وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص ١٣٠.